

## تعريف النهضة

يترجم العرب بكلمة النهضة بناء على معناها الاصطلاحي الكلمات الفرنسية والإنجليزية والإسبانية والإيطالية والألمانية:

Renaissance - Renascence - renacimiento – Rinascimento

وكلها تعني الولادة الجديدة أو البعث الجديد، وتستعمل للتعبير عن المرحلة الانتقالية التي فصلت العصر الوسيط عن العصر الحديث، وتحيل على إحياء التراث القديم (الإغريقي والروماني) واعتماده نموذجا للتقدم والتطور.

وينقسم المؤرخون حول أصل التسمية إلى فريقين: (الموسوعة الكونية الفرنسية المجلد 19 ص.779).

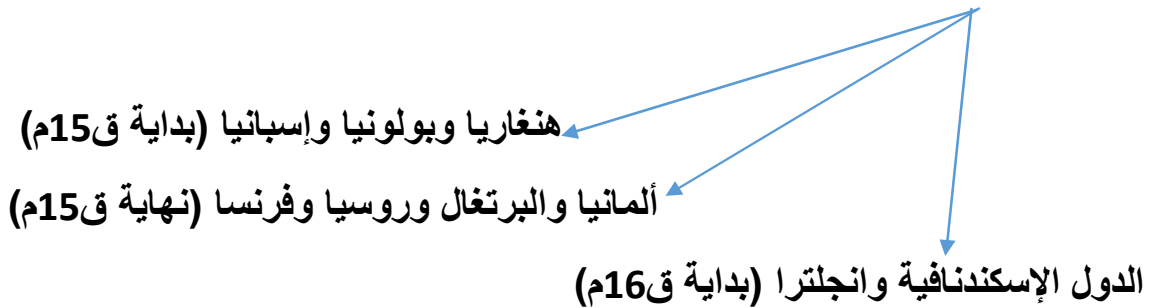
\* فريق يدافع عن كون الاسم ظهر في العصر نفسه وبذلك يكون العصر الوحيد الذي حمل اسمه في حياته.

\* فريق ثان يعيد إطلاق الاسم إلى القرن 19م وهو رأي السويسري بوركهاردت ومن يسايرونه.

واختلف في تحديد عمر النهضة وأعطيت تواريخ عديدة لبدائها ونهايتها، لكن الجميع يكاد يتفق على امتدادها من نهاية القرن 14م إلى بداية القرن 16م.

وعرف ظهور النهضة تدرجا بين دول ومناطق أوروبا، فقد بدأت مبكرا في إيطاليا؛ بفضل ما تجمع لها من ظروف، ولم تصل بلدانا مثل إنجلترا إلا في بداية القرن 16م. ويمكن ترتيب المدن والدول والمناطق الأوربية حسب دخولها عالم النهضة على الشكل التالي:

**إيطاليا (فلورنسا وسينا والبندقية وروما (ذروة في القرن 15م))**



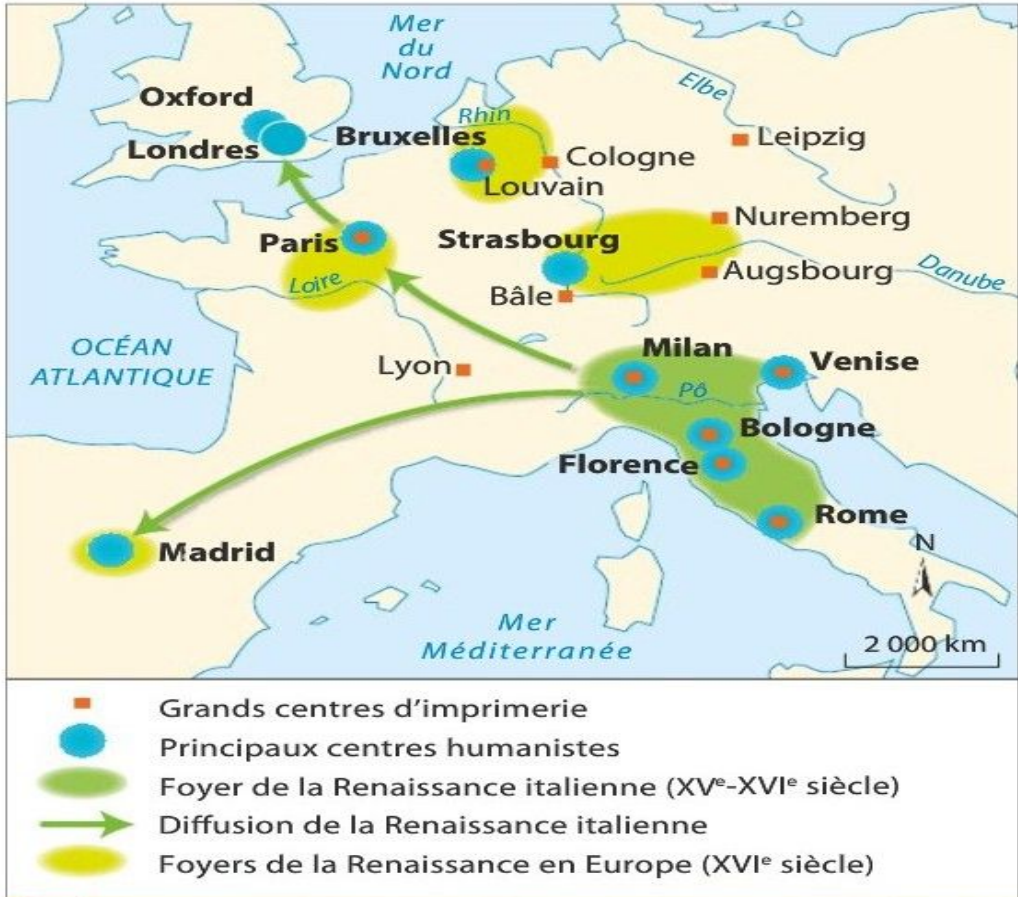
ويميل الكثيرون إلى ربطها حصريا بالمجال الفني، لكنها في الواقع تتجاوزه إلى مجالات أوسع مثل الأدب والفكر الفلسفي والتصورات والتقنيات والعمارة والسياسة والاقتصاد والعلوم...

وبالرغم من محاولة أنصار النهضة إظهارها كقطيعة مع الماضي وبداية لعهد جديد ومختلف تماما، إلا أنها في الواقع كانت تحمل تناقضات المراحل الانتقالية كاملة حيث نصادف خصائص وسيطية وقديمة جنبا إلى جنب مع أخرى جديدة ومحدثة.

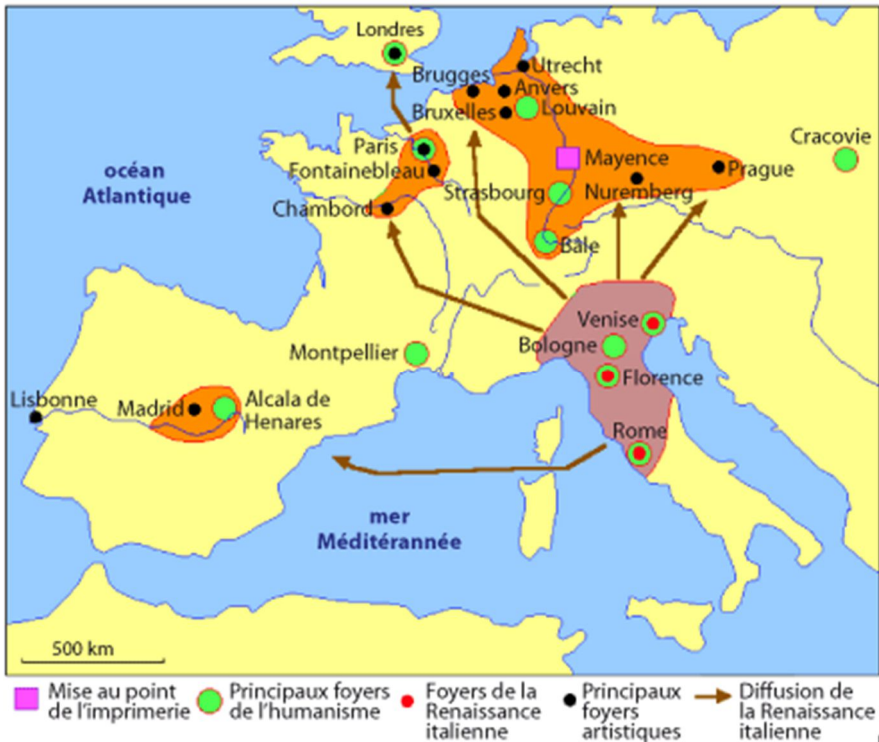
شارك في النهضة أفراد من كل فئات المجتمعات الأوربية من نبلاء ورجال دين وتجار وصناع وعلماء وحرفيين، لكن ذلك لا يعطيها طابعا شعبيا لأنها ظلت احتكارا للطبقات العليا من النبلاء خاصة والتي كانت تجذب عناصر متفرقة من باقي الفئات. وفي الجهة الأخرى استمرت حياة العصر الوسيط في أوساط الفلاحين والحرفيين ولم يتلقوا إلا تغييرات بسيطة جدا.

انتشرت النهضة من إيطاليا وبين بلدان أوروبا بفضل الكتاب وصناعة الطباعة وحركات العلماء والأساتذة والطلبة والفنانين من وإلى إيطاليا وتنقلات التجار والبضائع وسفر الحجاج إلى إيطاليا والحملات العسكرية (حملة شارل 8 الفرنسي على روما عام 1494م التي نقلت النهضة إلى فرنسا).

عصر قصير لكنه حافل بالتطورات والتغيرات والإنجازات، فما هي المظاهر التي اتخذها؟ وما هي إنجازاته؟



**3 Les grands foyers de la Renaissance en Europe**



## عوامل ظهور النهضة

تجمعت في إيطاليا ظروف وعوامل كثيرة ساهمت في اختتام أفكار النهضة وخروجها إلى الوجود كمنظومة مترابطة ومتراصة. ويمكن البحث عنها في التغيرات السياسية والاقتصادية والفكرية والدينية التي عرفتھا المراحل الأخيرة من العصر الوسيط.

عرف العصر الوسيط الحديث حركة اقتصادية متميزة، حيث نما النشاط التجاري بسرعة واستعادت المدن الإيطالية مثل البندقية وجنوة وبيزا وروما وفلورانس وميلانو نشاطها وحيويتها، وصارت تلعب دور الوسيط التجاري بين أوروبا الداخلية والعالم الإسلامي ومن وراءه الشرق الأقصى. وتمكنت من تجميع ثروات ضخمة كما نمت بها فئة من التجار الأغنياء الذين تنافسوا في التباهي بثرواتهم ومكانتهم فزينوا المدن واشتروا التحف ورعوا الفنون والفنانين، فتحوّلت المدن إلى أورش فنية نشيطة ومتجددة. وفي نفس الوقت كانت هذه المدن تشكل إمارات مستقلة تحكمها أسر متنافسة سياسياً، فحاولت كل واحدة إثبات قوتها وتفوقها برعاية الفنون والآداب والعلوم، فزينوا المدن واستقطبوا الفنانين والعلماء واستدعواهم من داخل وخارج إيطاليا. وقد نتج عن هذه الرعاية المزدوجة تحول إيطاليا إلى متاحف معمارية وفنية وأورش ومعاهد للفن والثقافة، وليس ذلك إلا ملامح النهضة الرئيسية.

لعب البابوات والكنيسة الكاثوليكية في روما دوراً واضحاً في النهضة، فقد حرص البابوات على تكريس زعامة روما الدينية ببناء كنائس متميزة بعمارتها وفخامتها وزخرفتها. وقد استنقبط بابوات (الأسكندر 6 - ليو 10 - يوليو 2...) عدداً من الفنانين أمثال ليوناردو دافنتشي وميكائيل أنجلو وغيرهما وكلفوهم بإنجاز أعمال فنية رائعة في الكنائس والكاتدرائيات أو في القصور الخاصة بالبابوات وأعاونهم.

تدعم هاجس التفوق عند الإيطاليين بشعورهم بأنهم حفدة أكبر إمبراطورية حكمت العالم، وقد كان هذا الشعور يتقوى ويعمق بفضل الآثار الماثلة أمامهم والتي يرونها صباح مساء في كل المدن والأماكن. وكان هذا حافظاً كبيراً على الإبداع والتميز.

فتح سقوط القسطنطينية في يد العثمانيين عام 1453م الباب لهجرة مكثفة للعلماء نحو مدن إيطاليا التي استقبلتهم واحتضنتهم لتستفيد من علمهم. ولم ينتقل العلماء لوحدهم بل حملوا معهم

كتبا كثيرة ومخطوطات تغص بعلوم اليونان والرومان والعرب. وزاد هذا الأمر من اكتشاف الإيطاليين لذواتهم كما تقوت رغبتهم في التفوق.

سمح انفتاح إيطاليا على العالم الإسلامي بالتعرف على إبداعات الحضارة الإسلامية أو ما ترجمته من تراث اليونان والهند وغيرهم. ويذهب البعض إلى أن بعض الأفكار الجريئة للنهضة وهي فكرة الإنسية قد أخذت من العرب، فقد ورد عن Pic de la Mirandole

**"J'ai lu dans les livres des Arabes,  
qu'on ne peut rien voir de plus  
admirable dans le monde que l'homme**

**" (Ency. Uni. T11, p.728)**

**"قرأت في بعض كتب العرب أنه لا يوجد في العالم**

**ما هو أجدر بالإعجاب من الإنسان"**

والنص غني عن التعليق ولا يحتاج إلى إضافة كبيرة.

اجتمعت للإيطاليين عناصر الثروة والرغبة في التفوق واستعادة أمجاد الأجداد وتطعيم الجيران من المسيحيين والمسلمين لينطلقوا في حركة تجديدية عامة سميت بالنهضة ما لبثت أن عمت كل أوروبا.

## مظاهر النهضة

اتخذت النهضة أشكالاً متعددة وحقت إبداعات كبيرة، لكن أهم مظهرين ميزاها وصارا رمزا لها هما إحياء التراث القديم والإنسية.

### 1- الحركة الإحيائية

وجه رجال النهضة اهتماما كبيرا وواسعا لإحياء التراث القديم على اعتبار أنهم رأوا فيه النموذج الذي يمكن أن يحقق تصورهم للأشياء لذلك يجب تقليده والنسج على منواله. وهكذا انتشرت حركة واسعة لجمع الكتب والمخطوطات القديمة من الكنائس والأديرة ومن الخواص ليس فقط محليا، بل من مناطق بعيدة وعلى رأسها القسطنطينية. وشارك في هذه العملية العلماء والحكام والهواة من التجار والأغنياء، فارتفعت قيمتها وصار هاجس الجميع الحصول على مخطوط يستحق العناية. وحتى تكون العملية ذات جدوى كثر الاقبال على تعلم اللغات القديمة مثل العبرية والعربية وأساسا اليونانية التي صار بعض العلماء يسافرون إلى القسطنطينية لتعلمها (فيليفو 1398-1481)، كما استنقبط معلمون إلى إيطاليا لتعليمها مثل المعلم كريزولوراس.

وقد تم تنظيم الاشتغال على التراث في عدة أنشطة أهمها:

- جمع المخطوطات خاصة الأدبية اليونانية والرومانية
- دراسة المخطوطات وتحقيقها
- نشر الكتب المحققة
- ترجمة كتب من اليونانية خاصة
- التأليف على منوال الكتب القديمة كما فعل دانتي وبوكاشيو

ومن أشهر من مارسوا هذه الأنشطة فرانسيسكو بترارك (1304-1374) الفلورانسى. لقد وفرت حركة الإحياء الأرضية الخصبة لمعرفة التراث القديم الجيدة ثم الانطلاق منه للإبداع كما سنوضح فيما بعد.

## 2- الحركة الإنسية أو الإنسانية

اتخذت النهضة شكل حركة إنسانية لاهتمامها بالإنسان بشكل واسع، حيث حاولت أن تعيد له الاعتبار، وتغير نظرة الكنيسة المبنية على الإهمال وتغييب الجانب المادي للإنسان والتحسيس الدائم بالخطيئة، وجعل الحياة كفاحاً دائماً من أجل الخلاص الأخرى. وقد نظر الإنسيون إلى الإنسان نظرة متكاملة وشاملة كروح وجسد وأعادوا رسم صورته بالتركيز على جماله وذكائه ونبوغه وقوته وثقته الكبيرة في نفسه. وانظر إلى هذا المكان التي يمنحه هؤلاء للإنسان من خلال هذا النص القصير:

"إن عجائب الفكر لأكبر من عجائب السماء، فليس

على الأرض أعظم من الإنسان، وليس في الإنسان

أعظم من فكره وروحه، وعندما ترقى إلى مستواهما

فإنك تسمو فوق السماوات..."

(Pic de la Mirandole)

جمعت الحركة الإنسية رجالاً من مشارب مختلفة، حيث نلتقي بعلماء وأساتذة جامعيين ورجال دين وأمراء وتجار وحرفيين. وقد جمعهم حب الإنسان وتمجيده. وانتشروا في مختلف المدن الأوروبية وارتبطوا بعلاقات متينة وتبادلوا الأخبار والتحف مشكلين شبكة متنورة تعمل على توسيع مجال هذا الفكر ونشره.

تكونت الحركة من تيارين كبيرين:

- تيار مسيحي: أتباعه من رجال الدين والمتدينين، وركزوا جهدهم على التوفيق بين الفكر القديم والأفكار الكنسية. ومن أشهر زعمائه مارسيل فيسين الذي حاول الوصول إلى الله عن طريق فلسفة أفلاطون.
- تيار وثني: تمسك بصفاء الفكر اليوناني والروماني في صورته الوثنية ورفض كل إضافة.

## خاتمة

لقد رسم الإنسيون من الامتياح من التراث القديم صورة جديدة للإنسان جمعت بين الجمال والقوة والذكاء والثقة في النفس والاعتداد بالذات وحب الحياة والتمتع بها كما سيظهر في إبداعات رجال النهضة الفنية والأدبية.

## إنجازات النهضة

مست النهضة كل جوانب الحياة وبالرغم من أنها تميل نحو الأدب والفن أكثر، فإن باقي الجوانب حظيت بنصيب وافر من العناية. فما هي أهم إنجازات رجال النهضة خاصة في الجوانب الأكثر تأثيراً وهي التربية والأدب والفن والعلم.

### 1- ميدان التربية

ظل التعليم طيلة العصر الوسيط محتكراً من طرف الكنيسة داخل الكنائس والأديرة، فوجهته نحو خدمة أهدافها وفق منظور يعتمد على دراسة الكتب الدينية أساساً، واعتمد الحفظ والتلقي والعقاب البدني في تعليم الأطفال والمتعلمين عامة. وكانت نتيجة ذلك محدودية الأفق وقتل روح الإبداع والانشراح والتفتح عند الطفل وتشجع روح التقليد والتبعية. وقد أثار هذا حفيظة الإنسيين ورفضوه بشدة وحاولوا وضع منهج مختلف في كل شيء.

بنى الإنسيون نظامهم التربوي على أساس أفكار جديدة تساير نظرتهم للإنسان والمعرفة، لذلك أكدوا على ضرورة تلقي الطفل تربية مستمرة منذ ولادته وحتى سن رشده بل وما بعد ذلك، لأنهم يعتبرون عالم الطفل عالم ثقافة وليس عالم طبيعة وغريزة دون أن يعني ذلك قمعهم لميوله الطبيعية. وتسند المهمة لأستاذ مؤهل يلزم الطفل والمتعلم كظله طيلة يومه (إيرازم).

ووضعت برامج دقيقة تحترم شخصية الطفل وتفتح الحوار بينه وبين أستاذه وتجمع بين اللعب والعمل الفكري والثقافي وتفتح على العالم والمجتمع. وتميزت البرامج بالموسوعية حيث يطالب المتعلم بدراسة كل جوانب المعرفة كما يظهر من هذه الرسالة لرابلي:

"أريدك يا بني أن تتعلم اللغات وتتقنها، فتدرس أولاً اللغة اليونانية

ثم اللاتينية والعبرية لفهم التراث، وكذلك العربية والكلدانية،

يجب أن تكتب باليونانية ككتابة أفلاطون بها، وباللاتينية كما

كتب شيشرون، ولا تدع فرعاً من فروع التاريخ إلا درسته...

كما عليك بدراسة الرياضيات وعلم الفلك والحقوق

والشريعة والفلسفة.

أما في علوم الطبيعة فأريدك أن تدرسها بدقة فلا تترك بحراً

ولا نهرا ولا نبعا إلا درسته. ولا تنس الإحاطة بكتابات كبار

الأطباء الإغريق والرومان والعرب... عليك ألا تترك

بابا من العلوم والمعارف إلا طرفته"

(RABLAIS, Pantagruel 1532)

وتخلص الطفل من العقاب الجسدي، وصار يعتمد الفهم أكثر من الحفظ.

أنشأ الإنسيون شبكة من المدارس تحترم هذه المعايير وتسير وفق مبادئهم، ومنها:

- مدارس DEVENTER في الأراضي المنخفضة.
- " SAINT-PAUL في لندن.
- " CORPUS CHISTI COLLEGE في أكسفورد.
- " GYMNASIUM STRASBOURGEOIS في ستراسبورغ.
- " COLLEGE DE LOUVAIN
- " AL COLA DE HENARES
- " LECTEURS ROYAUX في باريس.

وقد تجول الإنسيون بين المدن والمدارس ينشرون أفكارهم ويشرحونها ويدافعون عنها، ويكونون أتباعا جديدا للحركة، مما قوى انتشارها في كل أوروبا وزاد من نفوذها وأتباعها.

## 2- الميدان الأدبي

عرفت الآداب ازدهارا كبيرا، وبدأت بتقليد القدماء في مواضيعهم وأسلوبهم (شيشرون- أفلاطون...)، واعتمدت اللغة اللاتينية وسيلة الكتابة الوحيدة واللغة القادرة على التعبير عن الفكر بوضوح. لكن الأدباء ما لبثوا أن أضفوا مسحتهم الخاصة على كتاباتهم حيث عبروا عن الشعب وطموحاته وآرائه وحاولوا إدخال البهجة عليه وتسليته وإمتاعه. ورافق التطور تخل عن اللغة اللاتينية كلغة وحيدة وفسح المجال للغات المحلية (الإيطالية- الفرنسية- الإنجليزية- الإسبانية)، وصار المبدعون أكثر قربا من الجمهور فانتشرت الأفكار وتوسعت المتعة.

جلبت بعض المواضيع أكثر من غيرها اهتمام الأدباء وخاصة ما يرتبط بالعواطف والقصص والمذكرات وخصال الفروسية والسخرية. وهي كلها توضح الخط الإنساني البارز الذي نهجه هؤلاء.

### 3- الجانب الفني

كان الإنسان إلى جانب الطبيعة أهم المواضيع التي جلبت اهتمام فنان النهضة، وقد حاول إبراز قوة الأُنسان وجماله واستمتاعه بالحياة، فرسم الرجل والمرأة عاريين مبرزاً مفاتينهما بقوة كتعبير عن تكامل شخصية الإنسان وجمعها بين الروحي والمادي. ولم ينس الفنان تخصيص مساحة في أعماله لإبراز أفكاره وقناعاته. اعتمد فنان النهضة على العلم في عمله وتجاوز الانطباعية. فقد درس الرياضيات والهندسة وعلم التشريح. وطور تقنيات علمية دقيقة تقرب أعماله من الواقع، ومنها نظرية الأبعاد الثلاثة والتظليل واللون.

"هناك ثلاثة أنواع من الأبعاد،

فالأول يهتم تصغير الأشياء كلما ابتعدت عن عين الناظر،

والثاني هو الشكل الذي تتغير به الألوان كلما ابتعدت عن العين،

أما الثالث والأخير فهو الذي يقوم على كيفية إتمام الرسم

بشكل تتناقص معه دقة الأشياء كلما زاد بعدها"

(ليوناردو دافنتشي في الدفاتر).

اشتهر في عصر النهضة فنانون رسامون كباراً أمثال: ليوناردو دافنتشي (1452-1519) وميشيل أنجلو (1464-1575) ورافاييل (1483-1520)، وساهموا بشكل كبير في تزيين مدن وكنائس ودور إيطاليا وعلى رأسها روما. وتهافت الأمراء والتجار والبابوات على أعمالهم وكفؤهم بإنجاز أعمال ضخمة في الكنائس والقصور. ونفس السلوك ميز ملوك إسبانيا وفرنسا الذين استقطبوا فنانين وكفؤهم بأعمال مهمة.

شمل الفن أيضاً النحت والعمارة، وكان الفنان عادة ما يجمع بين أكثر من فن. ومن المعماريين المشهورين برونللسكي الذي قلد العمارة الرومانية الضخمة في فلورانس وخاصة في كاتدرائيتها ومدرسة خاصة، لكنه لم يبق رهين التقليد الأعمى لأنه كان يطعم ذلك بخياله

وإبداعه. أما في ميدان النحت فيذكر دوناتيلو صاحب مدرسة الطبيعة وهو الذي أبرز في أعماله قوة الإنسان وعظمته.

وقد تحولت الأعمال الفنية إلى سلعة تتداول في السوق وفتحت محلات لتداولها، وصار من مظاهر الرقي الاجتماعي امتلاك لوحات جميلة لكبار الفنانين. وإلى هذه الفترة تعود البداية الرسمية لإنشاء متاحف عمومية، وبالضبط في مدينة البندقية.







دكانان لبيع التحف الفنية

فن أصيل جمع بين التقليد والإبداع وأعطى للإنسان صورة متميزة بفضل التقنيات العلمية التي اعتمدها.

#### 4- الجانب العلمي

عرفت علوم الفلك والفيزياء والرياضيات وعلم الطبيعة والتشريح وعلوم المجتمع نهضة كبيرة، وكثرت الاكتشافات والابداعات مثل: كروية الأرض ودورانها حول الشمس والمجموعة الشمسية وأجرام سماوية كثيرة أخرى، ومكونات جسم الإنسان ووظائف الأعضاء، ومكونات بعض المعادن، وأفكار حول تاريخ الأرض وتطورها وظهور الإنسان عليها.

كان سلاح العلماء التجربة والملاحظة والاستقراء مما سهل عملية التوصل إلى أفكار علمية والتخلص من كثير من الانطباعات والمسلّمات الموروثة بالرغم من مقاومة الكنيسة وحصارها للعلماء وعلى رأسهم كاليبلي.

## خاتمة

شكلت مرحلة النهضة لحظة انتقالية بين العصر الوسيط والعصر الحديث لذلك جاءت مليئة بالتناقضات، لكنها حققت إنجازات كبيرة خدمت الإنسان ووضعت اللبنة الأولى لاستعادته لإنسانيته التي هضمت لفترة طويلة.

./.